الأهرام

المصدر: عكاظ

التاريخ : ٨ ديسمبر ٢٠٠٢

البحث عن استراتيجية لمواجهة سحر العولمة

تركي علي الربيعو

في الكتاب الذي حرره كل من حسن حنفي وصادق جلال العظم «ما العولمة، دار الفكر بدمشق، ١٩٩٩» يتساءل صادق جلال العظم تحت عنوان: ماهي العولمة؟ عن السر والصدى الذي تركته اطروحات كل من ادوارد سعيد عن «الاستشراق» وفرنسيس فوكوياما عن «نهاية التاريخ والانسان الاخير» واطروحة صموئيل هنتنغتون عن «صدام الحضارات» وما اثارته من نقاش وسجال ونقد وتقريض على صعيد عالمي، في الشرق كمافي الغرب والتي مثلت حالة لا سابق لها في التاريخ ميزت عقد الثمانينات واواسط عقد التسعينات من قرننا المنصرم. والتساؤلات التي يطرحها العظم في هذا السياقي:

-هل نشهد تبلور ثقافة عالمية جديدة وحقيقية تتجاوز التراثات الثقافية المحلية والوطنية والقومية التي لا تعد ولا تحصى. بعبارة اخرى،هل نحن امام صيرورة توحيدية ما للعالم المعاصر ليس اقتصاديا وتجاريا واتصالاتيا وتكنولوجيا فحسب، بل وثقافيا ايضا؟ بمعنى نشوء وتطور بنية ثقافية عالمية عليا ما تنضاف الى بنية الثقافات العالمية المحلية في كل مكان والتي تستند هي بدورها الى قاعدة ثقافية وسطى قوامها جمهور المتعلمين في كل منطقة من مناطق العالم؟

-هل نشهد في الوقت الحاضر والقول للعظم تشكل نخبة ثقافية عولمية عابرة للقارات والثقافات والقوميات واللغات والدول والبلدان تتواصل فيما بينها باستمرار وبغض النظر عن تموضعها المكاني المادي او انتمائها الثقافي او الاقوامي او الوطني على سطح الكرة الارضية؟ كما يظهر فإن صادق جلال العظم يبنى امالا كبيرة على عولمة الثقافة التي من شأنها ان تساهم في تشكيل نخبة مثقفة جديدة ومعولمة تساهم في الحد من علاقات عدم التكافؤ على صعيد عالمي وتكون بمثابة المرجعية الفكرية والثقافية لاشكالات عصر العولمة.

اعود للقول انه اذا كان صادق جلال العظم لا يرى في عولمة الثقافة الا وجهها الايجابي، أي تشكيل نخبة ثقافية معولمة تساهم في الحد من الآثار السلبية للعولمة فإن المثقف اليساري سمير امين لا يشاطره الرأي فهو لا يلمح في عولمة الثقافة اية آثار ايجابية ومن هنا تأكيده على امرين على سلبيتها وتأثيرها المضاعف والضار على الخصوصيات الثقافية في الاطراف، وعلى ضرورة مواجهتها بصورة ادق مواجهة الوجه البشع والهمجي والتخريبي الناتج عن عولمة الثقافة.من هنا فإن سمير امين لا يكتفي بالتنديد بعولمة الثقافة بل يذهب الى ابعد من ذلك في بحثه عن الاستراتيجية المطلوبة لمواجهة العولمة لنقل معه لمواجهة ازمة عصرنا كما يشهد على ذلك كتابه الموسوم بهذا الاسم «في مواجهة ازمة عصرنا، دار الانتشار العربي في بيروت ، ١٩٩٧» انه يدعو الى جبهة عالمية لمواجهة هذه المشكلة العالمية لنقل معه الى «برلمان عالمي» او «اممية جديدة للشعوب» تواجه كوكبية رأس المال وعولمة الثقافة وترفع شعار «يامناهضي العولمة في العالم اتحدوا» ان جاز لنا التعبير على طريقة قمة سياتل، وهنا تكمن مسؤولية قوى اليسار التاريخية في بناء اجوبة صحيحة في النظرية والعمل خاصة وان سمير امين يبنى امالا كبيرة على اعادة تكوين اليسار «مصريا وعربيا» بشرط تجاوزه لاوهامه الموروثة؟ ومن هنا فهو

العظم

يلتقي مع العظم في النتيجة من خلال بحثه عن النخبة الثقافية العالمية والمعولمة؟ مع اقراره بأن العولمة مرادفة للامركة وانها بمثابة الاسم الحركي للامركة وانها تحمل مخاطر هيمنة امريكية على العالم اقوى نفوذا وأثرا من الاستعمار التقليدي فان برهان غليون لا يقع في شراك الخصوصية التي تدفع الى التقوقع ولا يميل بطبعه الى ماسماه جورج طرابيشي بالاستقبال المأتمي للعولمة. انه على وعي بافخاخ العولمة وبسحرها وجاذبيتها فالعولمة لا تلجأ الى العنف والاكراه كمافعل الاستعمار التقليدي ولا تفرض نفسها بالبوارج وحاملات الطائرات ان لها سحرها الخاص كما يرى غليون فهي تخاطب عقول الناس ومخيلاتهم قبل ان تتعامل مع مواردهم الطبيعية واسواقهم، وهذا مايثير اهتمام برهان غليون فالعولمة اكثر مرونة بكثير من النظم الاستعمارية السابقة وعلى هذه المرونة يبنى غليون استراتيجيته في مواجهة قوى العولمة وسحرها، الاستراتيجية التي تقوم على التكيف والاندماج في حضارة

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

العصر. وهذا يتطلب من وجهة نظر غليون البحث عن «مشروع خاص» يقتضي الوعي والارادة والموارد الثقافية الخاصة للمشاركة في الحضارة خاصة وان عصر العولمة يحمل من الامكانات المفتوحة اكثر من المخاطر. من هنا يرى غليون ان استراتيجية العولمة تقوم على اعادة بناء الذات لا الدفاع عنهاوالتغزل بمزاياها ، وهذا يقتضي الابتعاد عن مايسميه غليون بـ «هوس الدفاع والممانعة والمصارعة» الذي يجد تعبيره في «حالة نفسية عربية» مثلت من وجهة نظر غليون احد اهم العوائق الذي حال بيننا وبين الاندماج في ثقافة العصر. ومن هنا فإن احد اهم ركائز الاستراتيجية الجديدة يقوم على حامل نفسي، يتمثل في دعوة غليون للعرب بـ «نسيان السيطرة الثقافية الغربية» وبالحفاظ على «مسافة نفسية» بيننا وبين الغرب المسيطر فبذلك نضمن نموا نفسيا يتيح لنا بناء استراتيجية فعالة تقوم على الارادة وبناء الذات الحضارية العربية من جديد.

لا يبنى غليون امالا عريضة على النخبة المثقفة في تحقيق استراتيجيته المأمولة، فمنذ ان كتب كتابه الشهير «مجتمع النخبة» بدا غير مؤمن بدور النخبة ولا بفاعلية «النخبة الثقافية المعولمة التي يبني عليها العظم امالا في استراتيجيته للدخول الى عصر العولمة، ولا بقدرة اليسار العربي الذي يسعى سمير امين الى لملمة شتاته، خاصة وان اعادة بناء اليسار تمثل ضربا من الطوبى «اليوتوبيا» وهذا ما يؤكده سمير امين نفسه. فمن وجهة نظره ان اليسار العالمي و «الاممية الجديدة للشعوب» وكذلك «البرلمان العالمي الجديد» التى تشكل مجموعة من الاستراتيجيات والمشاريع الانسانية ليست موضع رهان وغير مطروحة على الساحة عالميا، وبالتالي فهي ليست اكثر من طوباويات وبنات افكار يحلم بها المثقف العالمثالثي.. وهنا يصدق وصف جورج طرابيشي للاستراتيجيات الثقافوية التي يرسم خطاطاتها المثقفون العرب بأنهامحض استراتيجية تسمية. من هنا تأكيد طرابيشي على ان الخطر الاكبر في العولمة اذا كان لابد من هذا الوصف المأتمي لا يتمثل في الوقوع في براثنها ، بل في البقاء خارجها ، ويضيف طرابيشي بقوله «خلافا لخطاب التعبئة الايديولوجية» ضد العولمة فاننا نعتقد ان الاشكالية الحقيقية للعولمة في الوضعية الثقافية العربية الهشة هي اشكالية الدخول اليها لا الخروج منها او عليها» من النهضة الى الردة ص١٨٠ وان خير وسيلة لمواجهة العولمة هي الحضور لا الغياب». يبني طرابيشي امالا على الحراك الثقافي العربي، وهو يشارك غليون في خوفه من التشرنق في اطار الخصوصية والانغلاق على الذات وفي الخوف من الانخلاع من الذات والانجراف في سيرورة عولمة ثقافية ماحقة. من هنا فإن مايجمعه بمن ذكرناهم هو تأكيده على ان اشكاليتنا المعاصرة هي اشكالية ثقافية ومن هنا تأكيده على ان التحدي الاكبر الذي يواجه الثقافة العربية في عصر العولمة هو حاجة هذه الثقافة الى اجنحة بقدر حاجتها الى جذور، اجنحة تحلق بها في فضاء العولمة. ولكنها الاجنحة التي تحتاج الى ربع قرن للبدء من الجانب العربي بتعديل معادلة العولمة من الهيمنة الى الشراكة النسبية والسؤال هل هذه الرؤية هي محض استراتيجية تسمية ام انها محض احلام مثقفين؟

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية